

تفسير البحر المحيط

@ 180 @ وصاروا { كَهَشِيمِ الْمُمْحِطِطِرِ } وهو ما تفتت وتهضم من الشجر . والمحتظر : الذي يعمل الحظيرة ، فإنه تفتت منه حالة العمل وتتساقط أجزاء مما يعمل به ، أو يكون الهشيم ما يبس من الحظيرة بطول الزمان ، تطأه البهائم فيتهشم . وقرأ الجمهور : بكسر الظاء ؛ وأبو حيوة وأبو السمال وأبو رجاء وأبو عمرو بن عبيد : بفتحها ، وهو موضع الاحتظار . وقيل : هو مصدر ، أي كهشيم الاحتظار ، وهو ما تفتت حالة الاحتظار . والحظيرة تصنعها العرب وأهل البوادي للمواشي والسكنى من الأغصان والشجر المورق والقصب . والخطر : المنع ؛ وعن ابن عباس وقتادة ، أن المحتظر هو المحترق . قال قتادة : كهشيم محترق ؛ وعن ابن جبير : هو التراب الذي يسقط من الحائط البالي . وقيل : المحتظر بفتح الظاء هو الهشيم نفسه ، فيكون من إضافة الموصوف إلى صفته ، كمسجد الجامع على من تأوله كذلك ، وكان هنا قيل : بمعنى صار . .

قوله عز وجل : { كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ * إِنَّ زَنَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا لَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ * نَعْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ * وَلَقَدْ أَنذَرَهُمْ بَطْشَتْنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ * وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِمْ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي * وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ * فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ * كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا * كُلَّهَا فَأَخَذْنَاَهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ * أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءةٌ فِي الزُّبُرِ * أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرُونَ * سَيُهِزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ * إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّ زَنَا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * وَكُلُّ شَيْءٍ شِدءٌ فَعَلَاهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلَائِكٍ مُّقْتَدِرِينَ . . }

تقدمت قصة لوط عليه السلام وقومه . والحاصب من الحصباء ، وهو المعنيّ بقوله تعالى : { وَأَمْطَرْنَا نَارًا عَلَيْهِمْ مِنْ حِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ } . { إِلَّا ءَالَ لُوطٍ } ، قيل : إلا ابنتاه ، و { بِسَحَرٍ } : هو بكرة ، فلذلك صرف ، وانتصب { نِعْمَتَ } على أنه مفعول من أجله ، أي نجيناهم لإنعامنا عليهم أو على المصدر ، لأن المعنى : أنعمنا بالتنجية إنعاماً . { كَذَلِكَ نَجْزِي } : أي مثل ذلك الإنعام والتنجية نجزي { مَن شَكَرَ } إنعامنا وأطاع وآمن . { وَلَقَدْ أَنذَرَهُمْ بِطُغْيَانِنَا } : أي أخذتنا لهم بالعذاب ، { فَتَمَارَوْا } : أي تشككوا وتعاطوا ذلك ، { بِالنُّذُرِ } : أي بالإنذار ، أو يكون جمع نذير . { فَطَمَسْنَاهَا } ، قال قتادة : الطمس حقيقة جر جبريل عليه السلام على أعينهم جناحه ، فاستوت مع وجوههم . وقال أبو عبيدة : مطموسة بجلد كالوجه . قيل : لما صفقهم جبريل عليه السلام بجناحه ، تركهم يترددون لا يهتدون إلى الباب ، حتى أخرجهم لوط عليه السلام . وقال ابن عباس والضحاك : هذه استعارة ، وإنما حجب إدراكهم ، فدخلوا المنزل ولم يروا شيئاً ، فجعل ذلك كالطمس . وقرأ الجمهور : فطمسنا بتخفيف الميم ؛ وابن مقسم : بتشديدها . { فَذُوقُوا } : أي فقلت لهم على السنة الملائكة : ذوقوا . . { وَلَقَدْ صَبَّبَ عَلَيْهِمْ ذِكْرَهُ } : أي أول النهار وباكراً ، لقوله : { مُشْرِقِينَ } و { مُصْبِحِينَ } . وقرأ الجمهور : بكرة بالتنوين ، أراد بكرة من البكر ، فصرف . وقرأ زيد بن علي : بغير تنوين . { عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ } : أي لم يكشفه عنهم كاشف ، بل اتصل بموتهم ، ثم بما بعد ذلك من عذاب القبر ، ثم عذاب جهنم . { فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي } : توكيد وتوبيخ ذلك عند الطمس ، وهذا عند تصحيح العذاب . قيل : وفائدة تكرار هذا ، وتكرار { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا } ، التجرد عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ، للاتعاط واستئناف التيقظ إذا سمعوا الحث على ذلك لئلا تستولي عليهم الغفلة ، وهكذا حكم التكرير لقوله : { فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ مَا تُكَذِّبَانِ } عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن . وقوله : { وَيَلُوكُ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ } عند كل آية أوردها في سورة والمرسلات ، وكذلك تكرير القصص في أنفسها ، لتكون العبرة حاضرة للقلوب ، مذكورة في كل أوان . .

{ وَلَقَدْ جَاءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ } : هم موسى